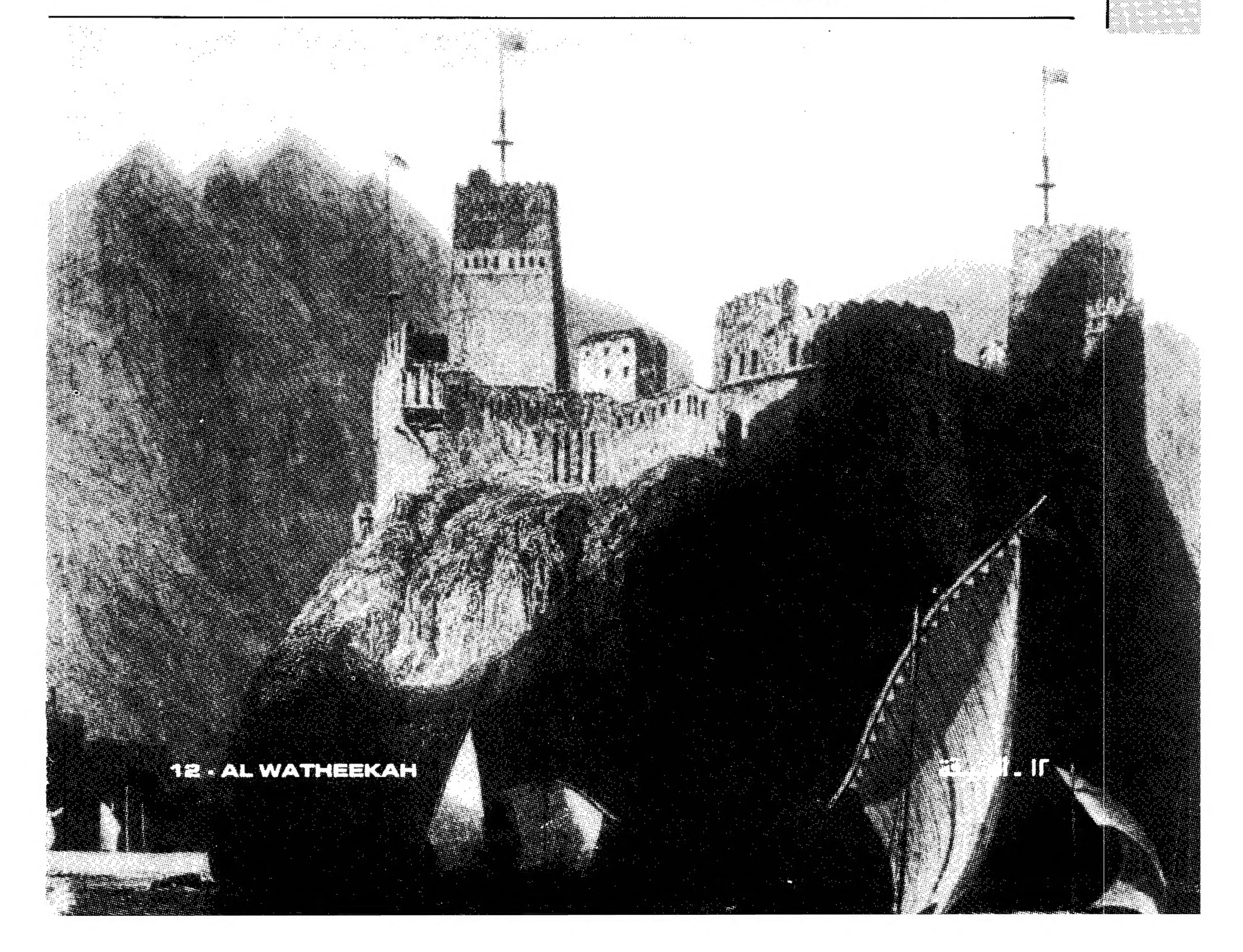
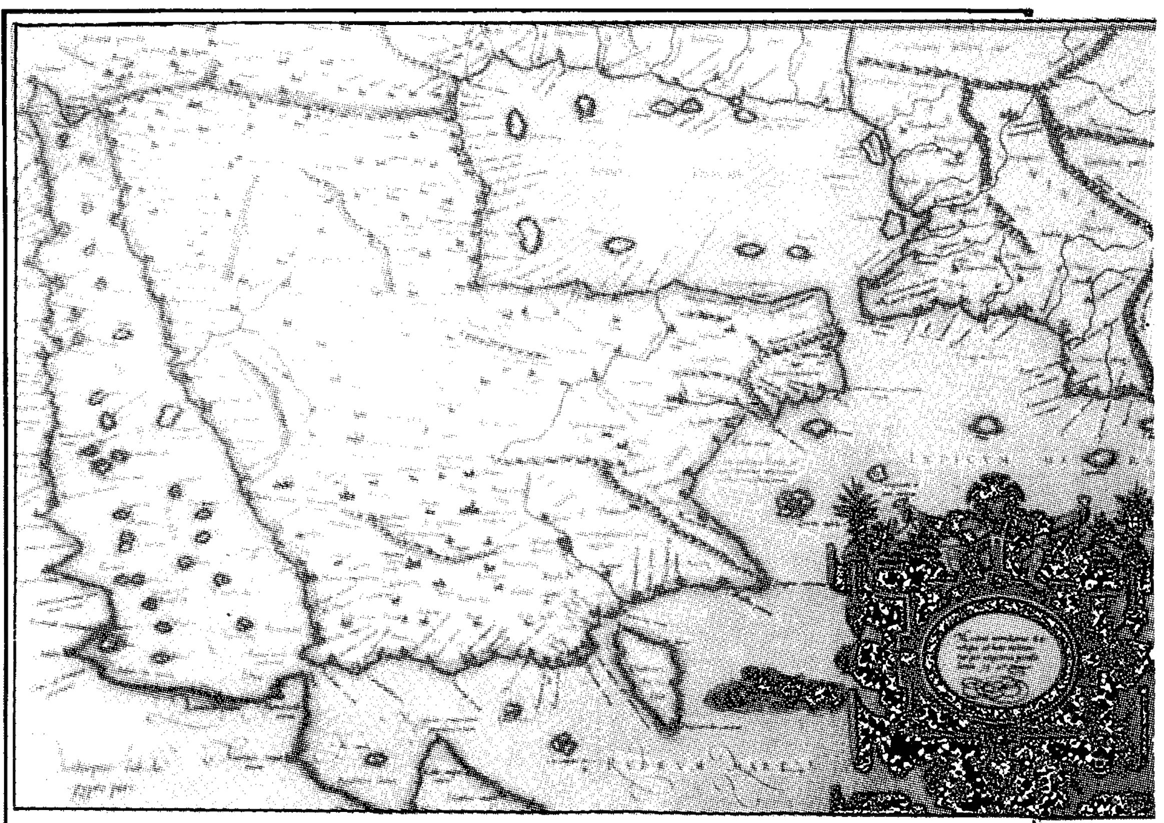
عُمان الدّاخ

من ١٥٠٧ إلى ١٦٢٤

التركيبة القبليّة والسّ





كتاب كشف الغمة ، والتي ليس هنا مجال ذكرها ، فإنه يظل أهم المصادر العمانية التي تطرقت للتاريخ الشمولي لعمان بصفة خاصة ولتاريخ الأباضية بصفة عامة [١] .

أما المصدر الثالث فهو كتاب تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان لمؤلفه عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي (ت ١٩١٤م) الذي يعد من أكثر المصادر العمانية دقة ووضوحاً . حيث تميز مؤلف هذا الكتاب باطلاعاته الواسعة واستعانته بكتب ومصادر غير عمانية مثل الكامل لابن الأثير والعبر لابن خلدون ، ومروج الذهب ، للمسعودي ، وتحفة النظار لابن بطوطة وغيرها ، الى جانب بعض الكتب التي لم تصل إلينا . ويشترك السالمي مع بقية المؤلفين العمانيين في اتباعه للأسلوب العقائدي في سرد الحوادث والأخبار . فالصبغة الأباضية تبدو واضحة في كتاباته ، فهو يرى أن معرفة التاريخ تعين على الاقتداء بسيرة الأئمة الصالحين ، والذين كانوا أكثر وجوداً في عمان من بعد الصحابة لاتباعهم المذهب السليم . ويمتاز السالمي عن غيره من المؤرخين العمانيين بكثرة تعليقاته وآرائه حين يتطرق للخلافات والحروب الأهلية التي حدثت في عمان ، متبعاً في ذلك الأسلوب العلمي في إبداء وجهات

النظر والتعقيب عليها ودعمها بحجج وبراهين العلماء الأوائل وكذلك فإن ما يميزه عن غيره من المؤلفين أنه يتعـرض لنشـاطـات اليعـاربـة والبوسعيديين في الخليج العـربي والمحيط الهنـدي ، واصطـدامهم بالبرتغاليين والانجليز وغيرهم من القوى الأخرى ، الى جانب ذكره للتوسع الأباضي في شرق أفريقيا وفارس ، وكتاب السالمي هو تاريخ عام وشامل لعمان وأهلها ، فهو يبدأ بفترة ما قبل الاسلام ، فالفترة الاسلامية الى القـرن العشرين . ومصـادره متنوعة وكثيرة ، ولولا كتابه تحفة الاعيان لفقد كثير من الروايات التي نقلها لنا من مصادر لم تصل إلينا . لذلك سيبقى تاريخه متميزاً بروايات جديدة لم تظهر في كتب المؤرخين الذين سبقوه كابن رزيق وصاحب كتاب كشف الغمة (٢) .

أما عن المصادر غير العمانية فأهمها كتابات المستشرقين الذين أولوا اهتماماً خاصاً بتاريخ عمان وتراثها ويأتي في مقدمتها كتاب The Imamate Tradition of Oman لمؤلفه John C.Wilkinson والذى صدر حديثاً . فهو من أفضل ما كتب في التطور السياسي والعقائدي لتاريخ عمان . فالكاتب يبدأ دراسته بإعطاء صورة واضحة للتركيبة الجغرافية لعمان ، والأدوار أو الحقب التاريخية التي مرت بها . هو يقسمها الى منطقتين : مسقط وضواحيها ، وهي عمان الساحل التي كانت تخضع دائماً للغزو الأجنبي ، وعمان الداخل التي سيطر عليها الأئمة منذ العهود الأولى للاسلام . ثم ينتقل الى التركيبة القبلية لعمان ويتطرق الى جذورها التاريخية ومدى علاقة كل قبيلة أو كل تحالف قبلي بالأراضي التي يسكنها . ويقدم الكاتب دراسة تحليلية قيمة لتطور النظام القبلي في عمان والذي يتدرج من نظام القبيلة التي تسيطر على أجزاء معينة من الأراضي والتي تسيرها العادات والتقاليد القبلية ، الى نظام الدولة التي تستمد شرائعها وقـوانينهـا من المـذهب الابـاضي للمحافظة علي الإمامة . بعد ذلك يستعرض الكاتب الأدوار التاريخية للإمامة الاباضية في عمان والأسس التي قـامت عليها والصعـوبـات والعراقيل التي واجهتها ، وذلك حتى وصول آل بوسعيد للحكم . ثم يختم الكتاب بإنتهاء الأمامة في عمان وأثر الثورة الصناعية ، وظهور البترول على المنطقة . والكتاب في مجمله دراسة تحليلية عميقة لتاريخ عمان والإمامة الاباضية ، اعتمد فيها الكاتب على كم هائل من المصادر الأولية والمراجع الحديثة ، ومما يضفى قيمة أكثر للكتاب أن مؤلفه قام بزيارات عدة الى مناطق متفرقة في عمان الى جانب استعانته بالتقارير والبحوث الكثيرة التي تناولت بإسهاب تاريخ منطقة الخليج .

وبالاضافة الى ما تقدم ذكره ، هناك مصادر وبحوث أخرى تمت الاستعانة بها في هذه الدراسة ،

وسيجدها القارىء في هوامش هذا البحث ، وقبل أن نناقش أوضاع عمان الداخل وأهم التكتلات القبلية والسياسية فيها في القرن السادس عشر الميلادي ، يهمنا أن نلقى الضوء على ما آل إليه الوضع في الخليج قبل مطلع هذا القرن وأثر ذلك على منطقة عمان .

الوضع السياسي في الخليج عند قدوم البرتغاليين

إرتبطت الأوضاع السياسية في الخليج العربي إبان الغزو البرتغالي بالتغيرات التي كانت تأخذ مجراها على الساحة الدولية في تلك الفترة . فقد شهد العالم في القرن الخامس عشر الميلادي أحداثاً هامة كانت بمثابة الفاصل بين حقبتين من الزمن في تاريخ البشرية . وقد اعتبر كثير من المؤرخين فترة الكشوف الجغرافية الكبرى والتي قام بها الاسبان والبرتغاليون بداية للعصور الأوروبية الحديثة ، بينما اعتبر سقوط القسطنطينية ١٤٥٣م بداية العصر الحديث في الشرق الاسلامي . وكانت لهذه الأحداث انعكاساتها على منطقة الخليج مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي . حيث امتد النفوذ العثماني الى العراق ، بينما حط البرتغاليون رحالهم عل الشواطىء الجنوبية لجزيرة العرب . وفي الوقت نفسه ، ظهرت قوة إقليمية في إيران بقيادة الصفويين سرعان ما إصطدمت مع العثمانيين في الشمال ، وتعاونت مع البرتغاليين في الجنوب . وكان لهذه الأحداث والصراعات أثرها السيء على الأوضاع السياسية والاقتصادية في الخليج العربي . حيث قلت حركة التجارة وضعف الاقتصاد وإنهارت القوى الصغيرة في المنطقة . قبل أن ترسو سفن القائد البرتغالي Alfonso de Albuquerque سنة ١٥٠٧م - ٩١٣هـ على سواحل الخليج الجنوبية ، كان جنوب الخليج خاضعاً لملكة هرمز العريقة والتي كانت تعد الى ذلك الحين أقوى تنظيم سياسى وإقتصادى في المنطقة [٣] .

ويعود تاريخ هذه المملكة الى القرن الحادي عشر الميلادي ، عندما أخذت تنافس بقية مدن الخليج على خطوط التجارة ، ثم برزت كقوة إقليمية في القرن الثالث عشر بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد ، وأخذت في فرض سيطرتها على طرق التجارة في الخليج ومنافسة مدينة قيس التجارية الواقعة على الساحل الشرقي للخليج ، والتي حلت محل سيراف في الفترة ما بين القرن الثاني عشر الى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي [٤] .

واستمرت هرمز تحتل مكان الصدارة في الخليج حتى مجيء التتار الذين شنوا عليها غارات أجبرت حكامها وأهلها على الإنتقال بعاصمتهم الى جزيرة جرون (والتي تقع في مضيق هرمز) المقابلة لسواحل مملكتهم ، والاستمرار في مزاولة نشاطهم التجاري والبحري ، وبسط نفوذهم السياسي على السواحل

الغربية للخليج ، وكذلك سواحل عمان . وعرفت هذه الجزيرة بهرمز فيما بعد وأخذت في الانتعاش الاقتصادي ، كما استطاعت أن تعيد مجد هرمز القديمة وأن تحل محلها .

وقدر لهذه المملكة الصغيرة أن تعيش بعد ذلك قرنين من الزمن ، كانت خلالهما أقوى كيان سياسي واقتصادي في المنطقة ، امتدت سلطة حكامه السياسية حتى البصرة ، وسيطرت على خطوط التجارة بين الشرق والغرب ، وبلغت درجة عالية من التفوق والانتعاش التجاري والازدهار العمراني والحضاري ، مما أغرى البرتغاليين في مطلع القرن السادس عشر الميلادي - وكانوا حينئذ سادة البحار والمحيطات - بغزو هذه المملكة وتسخير خيراتها وممتلكاتها في سبيل توسعهم الاستعماري ولخدمة العرش البرتغالي .

ولقد ذكرت مملكة هرمز في كتب الرحالة والجغرافيين العرب وغيرهم ، وهؤلاء قد أشادوا بنهضتها العمرانية والحضارية وبدورها الريادي في المنطقة ، كما أسهبوا في وصف نفوذها الاقتصادي والتجاري . ويعد الرحالة العرب من أوائل المكتشفين الذين جابوا بلاداً عديدة في العالم بما فيها مملكة هرمز ، ويأتي على رأس هؤلاء الرحالة ابن بطوطة الذي وصف هرمز بقوله : « ... وهرمز على ساحل البحر وتسمى أيضاً مغستان وتقابلها في البحر هرمز الجديدة ، وبينهما في البحر ثلاثة فراسخ . ووصلنا إلى هرمز الجديدة وهي جزيرة ، ومدينتها تسمى جرون ، وهي مدينة حسنة كبيرة ، لها أسواق حافلة ، وهي مرسى الهند والسند ، ومنها تحمل سلع الهند الى العراقين وفارس وخراسان ... » [٥] .

وفي مطلع العصور الحديثة زار عدد من الرحالة الأوربيين بلاد الشرق ووصفوها وصفاً دقيقاً وهاما . وقد وصلتنا بعض المعلومات الهامة عن طريق هؤلاء الرحالة لمملكة هرمز ويأتي وصف Varthema في مقدمتها . فلقد زار هذا الرحالة مملكة هرمز سنة ١٥٠٢ وذلك قبل مجيء البرتغاليين اليها بفترة قليلة وفي هذا الصدد يقول : « .. ويرى بهرمز أحياناً أكثر من ٣٠٠ سفينة راسية في مينائها من مختلف دول العالم ، ويقيم بالمدينة بصفة دائمة أربعمائة تاجر ووكيل في نقل البضائع التي ترد الى الجزيرة مثل الحرير واللؤلؤ والأحجار الكريمة والتوابل ..» [٦] .

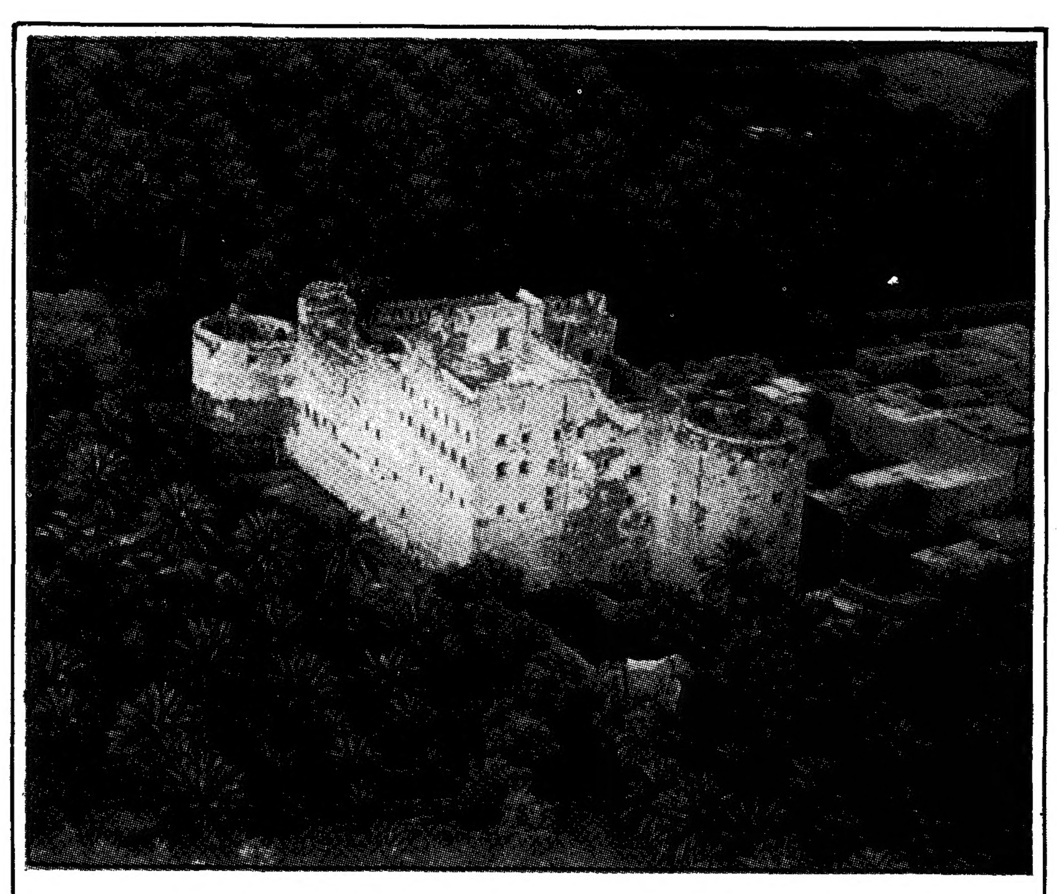
وهكذا كانت هرمز في مطلع القرن السادس عشر الميلادي ، مدينة عريقة بلغت درجة عالية من التقدم والرقي ، وكانت رمزاً حياً لثراء الشرق الاسلامي وازدهاره في تلك المرحلة من التاريخ [٧] . ولقد لفتت بذلك أنظار الطامعين والغزاة الذين انقضوا على خيراتها وعلى ممتلكاتها دون رأفة أو رحمة ، مستغلين ضعف المملكة عسكرياً وسياسياً ، فلم تستطع هرمز رغم استبسالها ، ورغم كل الامدادات

التي تلقتها من جيرانها ، الصمود أمام الغزو البرتغالي فسقطت في سنة ١٥٠٧ ، لتبدأ بذلك مرحلة جديدة من مراحل التاريخ في منطقة الخليج ألا وهي بداية التاريخ الحديث .

الى جانب مملكة هرمز كانت هناك قوة محلية أخرى أقل شأناً ومكانة من هرمز ، ظهرت على السواحل الغربية ألا وهي دولة بنى جبر ، التي كانت وليدة الصراع الذي حدث بين ملوك وأمراء هرمز سنة ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م . حيث استطاع عرب بنوجبر ـ الذين ينتمون ال بني عقيل من عامر بن صعصعة خلال هذه الفترة كما سنرى فيما بعد ـ انتزاع السلطة في الأحساء من بنى جروان [٨] واتخاذها قاعدة لنفوذهم وتوسعاتهم في المنطقة . وبسبب الحروب الأهلية التي كانت تمر بها مملكة هرمز في تلك الفترة والتي كان لبنى جبر يد فيها ، تمكن الشيخ زامل بن الحسين بن ناصر بن جبر فيما بين سنتى ١٤٣٩ ـ ١٤٦١ من توحيد القبائل العربية المتناثرة في بلاد نجد والاحساء وتسخيرهم لبناء دولة الجبور الناشئة . وبعد وفاته واصل أبناؤه المهمة التي بدأها والدهم ، حيث استطاع أجود بن زامل في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي أن يوسع من سلطان الجبور وذلك بانتزاع منطقتى القطيف والبحرين من مملكة هرمز وأن ينشر سلطانه على المناطق المجاورة ، مستغلاً في ذلك ، الضعف الذي كانت تمر به تلك المملكة . ثم أخذ أجود في شن الهجمات على الموانىء العمانية الخاضعة للهرمزيين ، وكما تمكن من التغلغل داخل عمان بسبب الضعف النبهاني وانتزاع مناطق عديدة من هذا الاقليم المقسم كما سنرى [٩] .

ومع مطلع القرن السادس عشر الميلادي أصبح أمير الجبور يلقب بسلطان البحرين والأحساء والقطيف وقد امتد نفوذه السياسي ليشمل شرق الجزيرة العربية من البصرة الى شمال عمان ، وأصبحت دولة الجبور بذلك دولة قوية بنفوذ واسع في أجزاء كبيرة من الجزيرة العربية وكان رئيسها في تلك الفترة محمد بن أجود الذي خلف أباه في السلطة [١٠] .

الا أن هذه القوة النامية مالبثت أن تهاوت ، اذ سرعان ما اصطدمت بالغزو البرتغالي والذي ألقت سفنه مراسيها على سواحل الخليج الجنوبية ، وتمكن من فرض سلطانه على جميع سواحل المنطقة بفضل التقدم العلمي والعسكري اللذين امتاز بهما البرتغاليون . كما شهدت الساحة الخليجية أيضاً أحداثاً أخرى تمثلت في الصراع بين القوى الكبرى المجاورة للخليج ، فقد دخل العثمانيون العراق والتحموا مع الدولة الصفوية في عدة معارك ترتب عليها انتصار ساحق للعثمانيين فمدوا سلطانهم الى الاحساء مما دعا الصفويين الى الاستعانة بالبرتغاليين لمواجهة الخطر العثماني . وشاءت الاقدار أن تكون دولة بنى جبر



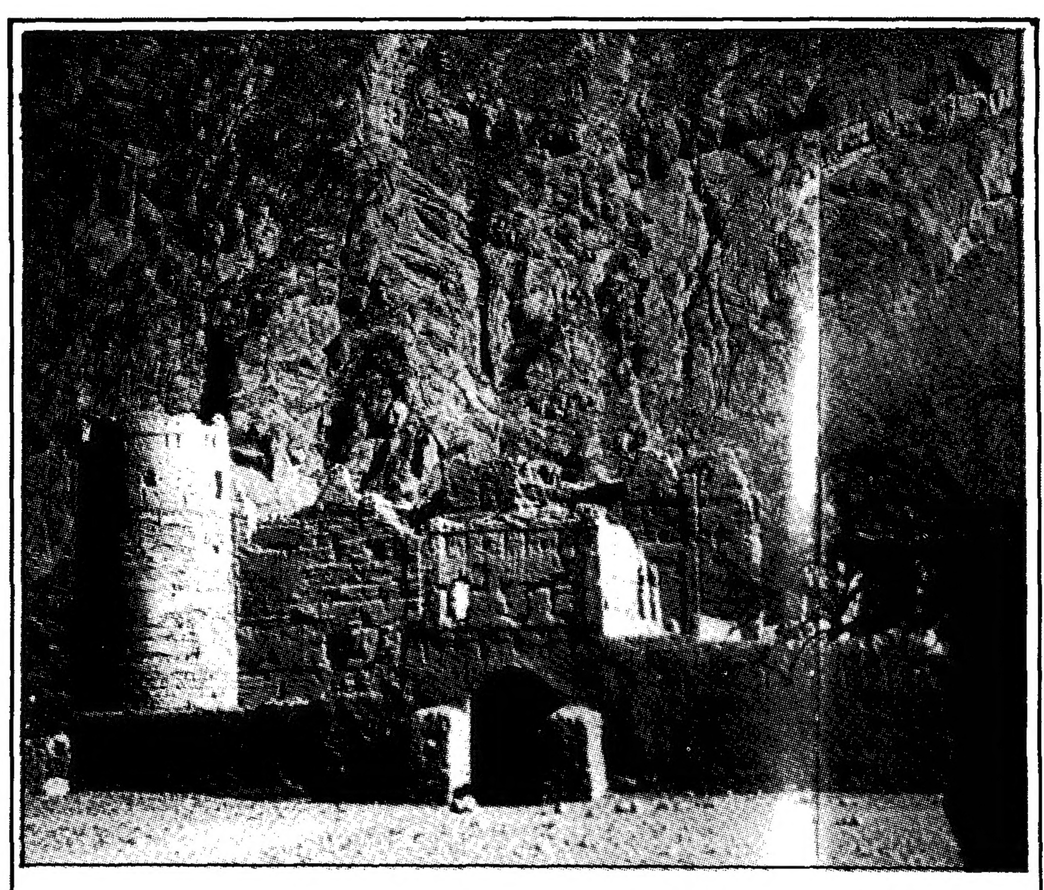
● قلعة جبرين.. اجمل قلاع عمان على الاطلاق بنيت اواخر القرن السابع عشر.

الناشئة ومملكة هرمز العريقة واقعتين عند حدود هـذه القوى الثـلاث المتصـارعـة ، وكـان طبيعيـاً أن تستسلما للأقـدار المحيطة بهمـا وبزوالهما تطوى آخر صفحة من صفحات تاريخ الخليج العربي في العصور الوسطى .

هذا وقد سيطر البرتغاليون على منطقة الساحل في عمان والتي كانت لسلطة الأمراء الهرموزيين ، بينما كانت المنطقة الداخلية واقعة تحت رحمة القبائل والاحلاف المتصارعة بسبب الضعف الذي كانت تمر به دولة بني نبهان التي حكمت المنطقة لفترة طويلة .

الوضع القبلي والسياسي في عمان الداخل خلال الغزو البرتغالي

وتعد عمان وخـاصة المنـاطق الداخلية من أكثر أجزاء الجزيرة العربية عزلة ، سواء كان ذلك من الناحية التاريخية أو السياسية أو الجغـرافيـة [١١] . فحتى مجيء



● قلعة سليمان بن حمير في بركة الموز وتسيطر على احد مداخل منطقة الجبل الاخضر.

البرتغاليين الى المنطقة كانت عمان الداخل منطقة شبه مجهولة ، ومعلوماتنا التاريخية عن فترة ما قبل البرتغاليين ضئيلة للغاية ولا تفي بالغرض المنشود لكتابة تاريخ سلاطين عمان وأئمتها ، خاصة النبهانيين منهم . ويعزى هذا النقص في المعلومات الى عدة أسباب ، أهمها الموقع الجغرافي لعمان ونظام الامامة التي عزلت نفسها خشية الأخطار التي كانت تتهددها في العصور الوسطى الاسلامية .

ولقد لعب العامل الجغرافي دوراً بارزاً في عزل المنطقة عن العالم المحيط بها طوال هذه الفترة . فلم يكن بمقدور كثير من الرحالة والجغرافيين المسلمين بسبب هذه العزلة زيارة المناطق الداخلية لعمان وبالتالى لاعطاء صورة كافية عن أحوالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية . فعمان كما هو معروف محاطة بسلسلة من الجبال الشاهقة تمتد من الشمال الشرقي للبلاد إلى الجنوب ، بينما تحد أطرافها الجنوبية صحراء الربع

الخالي والتى تعتبر من أكبر صحارى العالم ، لتفرض عليها عزلة عن بقية أجزاء الجزيرة العربية .

كذلك فقد كان النظام السياسي الدينى الذى ارتضاه العمانيون لأنفسهم والذى دافعوا عنه بكل ما يملكون من قوة طوال العصور العباسية ـ كان سبباً فى الحظر الذى فرض عليهم من قبل أصحاب السلطة فى بغداد : الأمر الذى ترتب عليه اهمال المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين لهذا الصقع ، وعدم ذكر أخباره فى الكتب التى تم تأليفها فى تلك الفترة . لقد اصطبغ التاريخ العام لإقليم عمان عبر العصور الوسطى بالامامة التى كان لها الدور الأساسي فى تسيير دفة الحكم بمختلف أشكاله وجوانبه . فمنذ ١٣٤هـ/ ٧٥١م كانت عمان تحكم من قبل امام يتم انتخابه عن طريق « الأمة » وكان المذهب المتبع فى هذا الحكم هو المذهب الاباضى ، لذا لم تخضع المنطقة وخاصة الداخلية منها لسلطة بغداد . وحتى قبل قيام الامامة الاباضية لم تخضع عمان بصورة كاملة للحكومة المركزية فى دمشق ، فقد حاول الحجاج بن يوسف الثقفى (ت ٩٥هـ) ـ خلال حكمه العراق ـ ضم عمان الى بقية أقاليم الدولة وعلى غرار ذلك جاءت محاولات أخرى للأمويين ، ولكنها جميعاً لم تنجح بالصورة التى تجعل من عمان منطقة دائمة التبعية لسلطة بنى أمية .

وعند تولى العباسيين دفة الحكم قامت امامة مستقلة فى عمان بقيادة الجلندى بن مسعود ، الا أن ذلك لم يدم طويلا ، فقد استطاعت جيوش أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى الثانى دخول هذا الاقليم وقتل امامه الجلندى . ولكن هذا الانتصار العباسى لم يستمر طويلا ، فسرعان ما ظهرت الامامة من جديد سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م على يد الوارث بن كعب الخروصى اليحمدي ، وتتابع الأئمة من بعده على حكم عمان . وكانت هناك بعض الفترات من تاريخ المنطقة التى خضعت فيها للحكم الأجنبى سواء من قبل الأمراء المسيطرين على بغداد أو القرامطة الذين ظهروا فى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، ولكنها كانت فترات متقطعة ولم تمتد طويلا . وبصفة عامة فإن تاريخ عمان ارتبط كما أشرنا من قبل بالامامة الاباضية وان فرص نجاح المحاولات الأجنبية كانت قصيرة المدى . وهكذا استطاعت عمان ان تحافظ على استقلالها السياسي فى معظم العصور الاسلامية ، وساعدها على ذلك وضعها الجغرافي ، الذى سبق ان عرضنا له .

إتخذ العمانيون من عمان الداخل قاعدة لحكمهم الاباضي ، مبتعدين بذلك عن الاخطار الخارجية التى كانت تتهددهم، وقد فرضوا على أنفسهم عزلة عن العالم المحيط بهم ، ولعل ما يبرر ذلك هو ما عاناه أهالي عمان على أيدى الأجانب من قهر

وتسلط . منذ عهد الحجاج بن يوسف الذى عرف بقسوته ، مروراً بالعصور العباسية ، وكذلك ما عانوه على أيدى القرامطة الذين كان حكمهم دماراً على المدن والأقاليم التى سيطروا عليها . وتعتبر فترة الأئمة النبهانيين ـ أو الملوك النبهانيين حسب ما تذكرهم مصادرنا المحلية ـ من أكثر فترات التاريخ العمانى ظلمة وطولاً على حد سواء . ولم تصلنا عنهم الا شذرات قليلة من المعلومات التى تكاد تكون فائدتها التاريخية شبه معدومة . وهاهو صاحب كشف الغمة ـ وهو كما أشرنا من أهم المصادر التى أرخت لعمان ـ يذكر بأنه لم يجد تاريخاً لفترة ملوك بنى نبهان ولا للائمة الاباضيين الذين حكموا عمان في تلك الحقبة من الزمن (١٢) .

ويرى J.C. Wilkinson أنه لابد وأن يكون قد ظهر في عصور النباهنة من أرخ لملوكهم أو أئمتهم مستدلاً ببعض الروايات التي نقلها السالمي عن تلك الفترة المظلمة (١٣) . واعتقاد Wilkinson هذا قد يحمل كثيراً من الصحة ، فليس من المستبعد أن تكون هناك مصادر لم تكشف بعد تعود لفترة النبهانيين خاصة وأن هذه الفترة قد امتدت لأكثر من ثلاثمائة سنة . كما لا يفوتنا هنا أن نذكر ما أورده صاحب كشف الغمة من أن كثيراً من كتب التراث العماني قد أحرقت في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي أثناء فترة الحروب الأهلية (١٤) ، مما جعل المستشرق Beatrice de Cardi يرى في ذلك تفسيراً كافياً عن سبب ندرة معلوماتنا التاريخية عن الفترة النبهانية (١٥) . وحتى يتم الكشف عن مصادر جديدة سيظل تاريخ تلك الحقبة من الزمن غامضاً ؛ الأمر الذي يشكل عائقاً من الصعب اجتيازه من أجل كتابة التاريخ العماني الدقيق (١٦) .

عمان في عهد الملوك النبهانيين المتأخرين :

من خلال قراءاتنا التاريخ المحلي لعمان يمكن أن نستنتج أن فترة الملوك النبهانيين المتأخرين ليست إلا الصحوة التي سبقت مرحلة السقوط أو الزوال . فبحلول القرن السادس عشر الميلادي حدثت تطورات خطيرة على الساحة المحيطة بعمان ، كانت لها انعكاساتها السياسية والدينية على أهالي المنطقة . لقد أحدثت هذه التطورات ردة فعل قوية لدى سكان وقبائل عمان ، مما ترتب عليه إعلان الثورة على الحكم النبهاني ومحاولة إستبداله بحكم يتفق مع أصول المذهب الاباضى وقواعده فما كان من بني نبهان إلا التشبث بممتلكاتهم في عمان ومواجهة المناوئين لحكمهم ، ومحاولة إصلاح ما يمكن اصلاحه قبل استفحال الأمر . إلا أن هذه اليقظة جاءت متأخرة ؛ فالأوضاع قد ازدادت سوءاً ، والحروب الأهلية اتسعت دائرتها لتشمل جميع القبائل القوية بما فيها القبائل النبهانية . أضف الى ذلك كره أهل عمان للحكم

النبهاني ، فهم يرون أن النبهانيين أصحـاب جـور وفســاد ، وتجب ازاحتهم عن حكم عمان . ويتبين هذا من خلال ما نقله لنا ابن رزيق حين قال «ولما اشتد فساد بني نبهان لعمان وصار منهم أهل عمان في امتهان ، اجتمع أكابر أهل عمان لازالة الجور والفساد والطغيان» (١٧) .

وهكذا دخلت عمان مرحلة جديدة شهدت خلالها المنطقة حروباً أهلية طاحنة استمرت قرابـة قرن من الزمان . ففي سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م نجح عمر بن الخطاب اليحمدى الخروصى في انتزاع بعض ممتلكات بنى نبهان وأخذ كثيراً من أموالهم وأمـر بتقسيمهـا عـلى الفقـراء والمظلومين . ولكن مصادرنا لا تذكر ما اذا كان ـ عمر هذا وهو الذى تم تنصيبه كامام على عمان ـ استطاع تقويض الحكم النبهاني بكامله أم لا ؟ وما مدى النجاح الذى حققه (١٨) . فالسالمي يذكر أنه بعد موت عمر بن الخطاب اليحمدى والذى لا نعرف سنة وفاته ، خرج سليمان بن سليمان النبهـاني في نـزوى وتمكن من استرجاع ملك النباهنة مرة أخرى في عمان ، حتى تمت مبايعة محمد بن اسماعيل بن عبدالله الحـاضري القضاعى الذي تمكن من قتل سليمان وكان ذلك سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م . وكبقية المصادر المحلية ، لا يورد السالمي شيئاً عن الأحداث التي صـارت أيام إمـامـة محمـد بن اسماعيل ، والتي امتدت من ٩٠٦ هـ الى ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م (١٩) . فهذه مدة طويلة من تاريخ عمان الحديث امتدت قرابة ٣٥ سنة لم يصلنا عنها شيء .

أما عن الفترة التي تلت إمامة محمد بن اسماعيل ، فان مصادرنا المحلية تكاد تتفق على أن عمان الداخل وقعت في فتن واضطرابات ، وكان للعصبية القبلية دور كبير فيها . فقد ظهر أكثر من إمام وأكثر من أمير أو حاكم وأصبحت عمان كما يصورها لنا السالمي «... وبنصب الأئمة في وقت واحد تشتتت الكلمة وتفرقت الجماعات وضعفت دولة المسلمين ووهنت قلوبهم وطمع فيهم من كان لا يطمع ، فصار الملك مفترقاً في أيدى الرؤساء من النباهنة ، وآل عمير وآل هلال وهم رهط الجبور وصارت الشدة على أهل عمان (٢٠)» . فقد تمكن سلطـان بن محسن بن سليمان النبهاني من السيطرة على نزوى سنة ٩٦٤ هـ/ ١٥٥٦م ، بينما بايع أهل بهلا الامام بركات بن محمد سنة ٩٦٥ ، الا أنه طرد من قبل محمد بن جفير بن علي بن هلال الجبرى الذي تنازل عن المنطقة لآل عمير سنة ٩٦٧هـ/ ١٥٥٩م مقابل مبلغ معين اتفقا عليه (٢١) .

يتضح من هذا أن عمان دخلت مرحلة جديدة من تاريخها ، بظهور التكتلات القبلية والسياسية والتي كانت تتصارع من أجل الوصول الى السلطة . ومما يؤسف له هنا أن مصادرنا المحلية لم تزودنا بمعلومات

كافية ، كي يتمكن الباحث من اعطاء لمحة تاريخية واضحة عن تلك الفترة الزمنية . فهذه الفترة وكما سبق أن أشرنا ـ تعد ضمن فترة الملوك النبهانية المتأخرين ، والتي تبدأ في هذه المصادر بعهد سلطان بن محسن بن سليمان النبهاني ، الذي ملك نزوى وخلفه على الحكم ابنه مظفر بن سلطان الذي توفي وترك ابناً صغيراً على الحكم هو سليمان بن مظفر ، الا أن الاخير أزيح من قبل عم أبيه فلاح بن محسن بن سليمان الذي اتخذ من بهلا مقراً لحكمه . وبعد وفاته ملك سليمان بن مظفر .

وتؤكد المصادر أنه تمكن من توحيد البلاد والقضاء على مناوئيه على السلطة وخاصة الجبور الذين كانوا تحت قيادة محمد بن جفير . كذلك استطاع توحيد البيت النبهاني وبسط سلطته ، وسلطه النبهانيين على جميع قرى ومدن عمان الداخل وامتد نفوذه أيضاً الى صحار على الساحل بعدما تمكن من هزيمة العجم (٢٢) .

وفي عهده ظهرت العصبية القبلية التي فجرت الوضع من جديد وأدخلت عمان في حرب أهلية طويلة أدت الى زوال الملك النبهاني . ويرجع جذور هذا الخلاف كما يتضح لنا من قراءتنا الروايات المحلية ، أن صداماً وقع بين قبيلتين من أهل سيفم (تقع في وادى سيفم) إحداهما بنو معن والاخرى بنو النير ، وكلتاهما تنتمي الى مالك بن فهم من الازد . وقد التجأت بنو معن ومن حالفهم من بنى شكيل الى سليمان بن مظفر بينما انحاز بنو النير الى بنى هناءة : أقوى تجمع قبلي في عمان آنذاك ، مما أدى الى اثارة الفتن بين قبائل عمان ودخول المنطقة في صراع طويل قادة الهناوية ضد سليمان النبهاني ومن ناصره من القبائل الأخرى ، وكانت الحروب سجالاً بين الطرفين ، فلم يستطع سليمان بن مظفر بسبب قوة نفوذ بنى هناءة كما سنرى فعل شيء إزاء هذا الوضع المتردى ، وقد توفي وعمان الداخل منقسمة على نفسها .

وخلفه على الحكم عرار بن فلاح بن محسن قائد جيوشه والذى لم تدم فترة حكمة طويلاً ، فمات سنة ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م وتولى الأمر من بعده مظفر بن سليمان بن مظفر والذى فشل كذلك في تسوية الأوضاع المتردية . ثم جاء بعده مخزوم بن فلاح بن محسن ، وفي عهده ازدادت الأحوال سوءاً فقد انقسم النبهانيون على أنفسهم وأخذت الأخطار تحيط بهم من كل حدب وصوب (٢٣) . وبلغ هذا الانقسام ذروته سنة ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م عندما تدخل البرتغاليون في الحروب الدائرة بين النبهانيين في صحار ؛ الأمر الذي ترتب عليه مقتل محمد بن مهنا الهديفي النبهاني صاحب صحار على يد أتباع الأمير عمير بن حمير النبهانى الذى استعان بالبرتغاليين في قتال ابن عمه محمد بن مهنا هذا ومكنهم من الاستيلاء على المنطقة ـ كما تذكر مصادرنا المحلية ـ

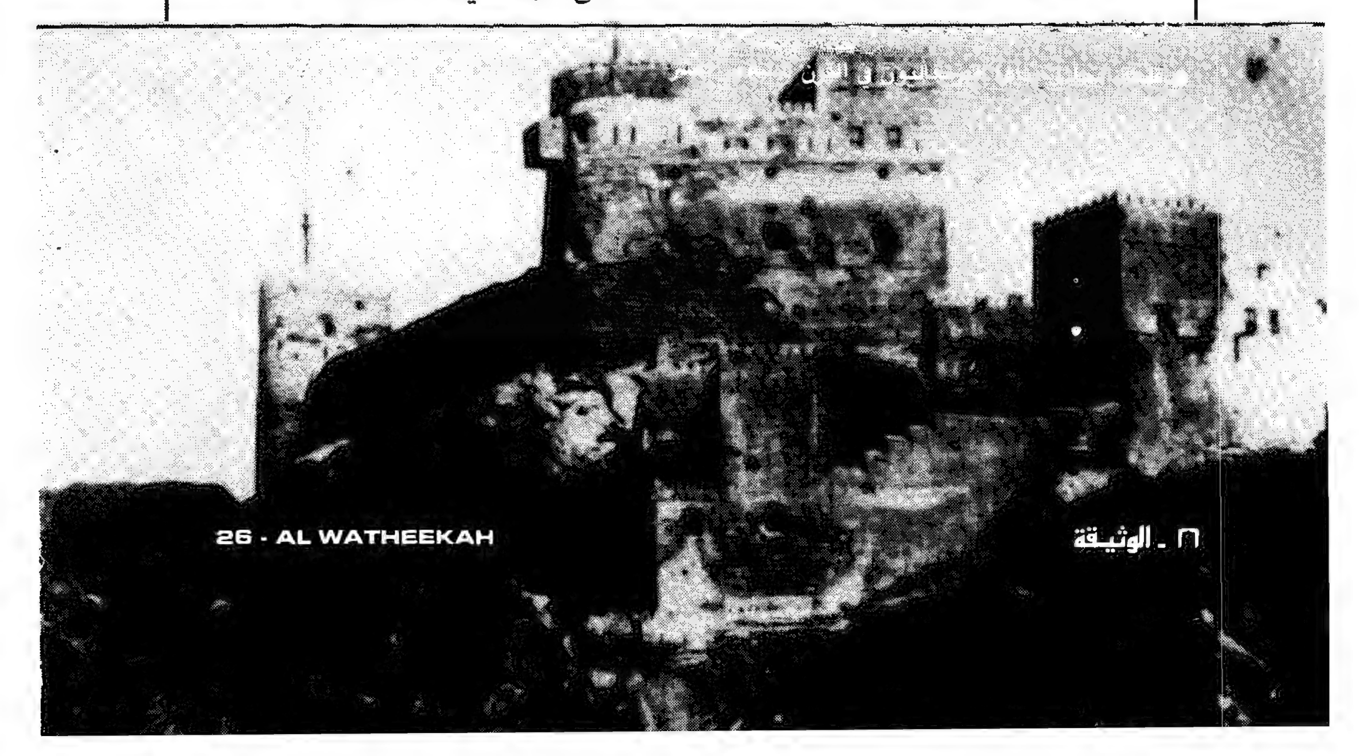
ثم قفل راجعاً الى سمائل (٢٤) .

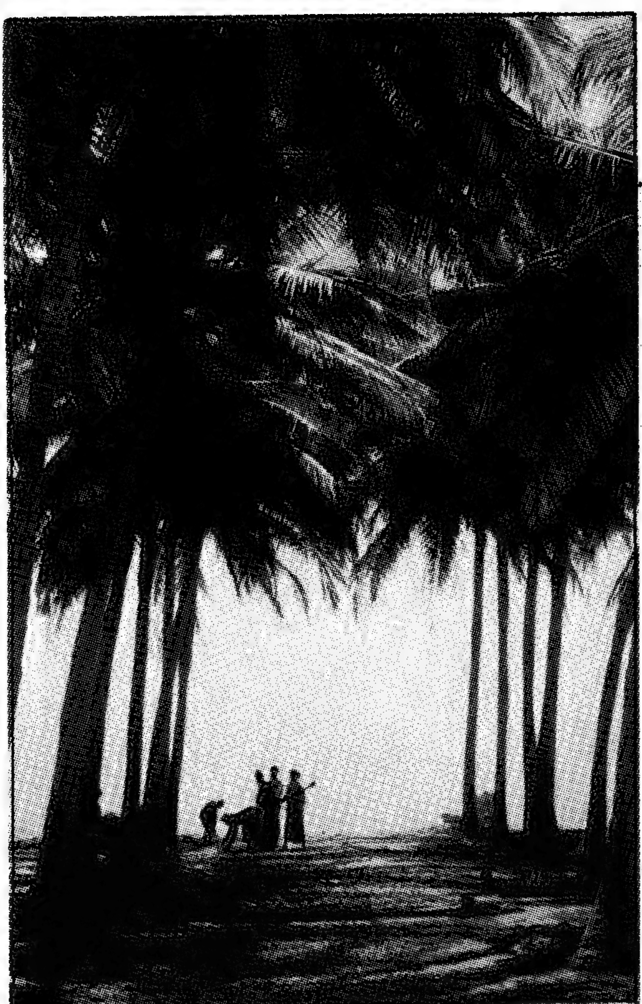
وهكذا أضحت عمان كما تذكر لنا المصادر مقسمة على النحو التالي : آل عمير في سمائل ، والهناوية في بهلا ، واليعاربة في الرستاق ، بينما امتد نفوذ الجبور الذين استغلوا هذه الانقسامات الى منطقة الظاهرة وشمال عمان في حين سيطر البرتغاليون على السواحل من صور حتى جلفار (٢٥) .

واذا استثنينا البرتغاليين ودورهم في المنطقة في تلك الفترة ، فان أهم الاحلاف السياسية والقبلية في عمان ـ خاصة في المناطق الداخلية منها ـ في مطلع القرن السابع عشر الميلادي ـ هي ؛ بنو جبر ، بنو هناءة ، بنو عمير ، اليعاربة وهذه الأحلاف هي التي نازعت الحكام النبهانيين على السلطة ، وكانت سبباً في سقوط دولتهم سنة ١٦٢٤م . وفيما يلي نذكر الدور السياسي والقبلي التي لعبته هذه الاحلاف في تاريخ المنطقة :

بنو جبر :

ينسب كثير من المؤرخين المعاصرين بني جبر الى بني عقيل من عامر بن صعصعة ، والذين قد علا شأنهم وقويت شوكتهم في القرن الخامس عشر الميلادي ، فقد استطاعوا السيطرة على مدن وقرى الأحساء والقطيف والبحرين بسبب الضعف الذى كانت تمر به مملكة هرمز ، والتي كانت تسيطر على معظم سواحل الخليج الغربية ، كما شنوا عدة هجمات على السواحل العمانية خاصة الشمالية منها مستغلين في ذلك ، الوضع المتردي الذي كانت تمر به عمان الى جانب ضعف السيطرة الهرمزية على سواحل المنطقة واستطاع الجبور بذلك ، السيطرة على مناطق عديدة في عمان وعلى إرغام كثير من القبائل على دفع ضريبة سنوية لهم مقابل عدم التدخل في شئونهم القبلية والسياسية (٢٦) . ويؤكد هذا ما ذكره المؤرخ البرتغالي De Barros من أن





الجبور كانوا أقوى كيان سياسي في جزيرة العرب مع نهاية القرن الخامس عشر الميلادي [٢٧] .

كذلك ذكر القائد البرتغالي Albuquerque أن الجبور كانوا مسيطرين على المناطق الداخلية لعمان ، ووصف الحاكم الجبري بأنه يحكم جميع أرجاء الجزيرة العربية . ورغم المبالغة الواضحة في هذا الوصف فانه يحمل في ثناياه جزءاً كبيراً من الحقيقة كما يرى الدكتور عبداللطيف الحميدان[٢٨]. ويبدو أن بني جبر ظلوا أقوياء في عمان طوال القرن السادس عشر الميلادي رغم سقوط دولتهم في الأحساء والبحرين ، الا أننا عاجزون عن اعطاء أي وصف لسلطتهم هذه بسبب ندرة المعلومات وقلتها حول هذا الموضوع [٢٩] . وتشير روايات ابن قيصر الى أنه مع مطلع القرن السابع عشر الميلادي ، كان الجبريون متمركزين في المدن التالية : سمد الشأن ، أبرا ، حصن الغبى ، ضنك ، مقنيات ، قرية بات ، ينقل ، لوى ، الجو .

كما تشير رواياته أيضاً الى أن سلطة الجبور كانت من أقوى السلطات في عمان في تلك الفترة ، وأن نفوذهم السياسي كان واسع الانتشار . فناصر بن مرشد مؤسس دولة اليعاربه كما يذكره ابن قيصر قضى معظم سنواته الأولى في تقليص النفوذ الجبرى القوى وفي الحد من نشاطاتهم السياسية والعسكرية . هذا الأمر تطلب منه سنين للقوة التي كان يتمتع بها بنو جبر ، الا أنه تمكن في نهاية الأمر من القضاء عليهم في عمان ، وبزوالهم يكون قد تخلص من أخطر مناوئيه وأكثرهم شراسة وبأساً .

بنو هناءة :

هم بطن عظيم بعمان ، ينسبون الى مالك بن فهم من الأزد ، ولقد كان لهم دور كبير في صدر الاسلام . ولقد شارك بنو هناءة ـ مثل بقية قبائل شرق الجزيرة العربية ـ في الفتوحات الاسلامية الأولى تحت قيادة عثمان بن أبي العاص وأخيه الحكم بن أبي العاص ، واستوطن عدد كبير منهم

البصرة في خلافة معاوية بن أبى سفيان . وخلال فترة المد الاسلامي في مناطق خراسان وأواسط آسيا ، شارك كثير من قبائل أزد عمان في الفتوحات وكان من أبرز هذه القبائل بنو هناءة الذين هاجروا بأعداد كبيرة الى تلك المناطق واستوطنوا فيها . ومن المعروف أن أزد عمان بما فيهم بنو هناءة كانوا أهم القبائل التي لعبت دوراً بارزاً في الاحداث السياسية في المشرق في عهد الدولة الاموية ، وكانوا سبباً رئيسياً في النزاع القبلي الذي اندلع في خراسان في أواخر عهد هذه الدولة ، والذي أدى الى زوالها . وفي عهد الدولة العباسية ، بدأت هذه القبائل تفقد رابطة الدم التي تجمع أفراد القبيلة تحت راية واحدة ، وأخذ الانتماء يقوى نحو المدن التي استوطنوها . فترتب على ذلك انقطاع صلاتها القبلية والعائلية بأصولها في العراق وجزيرة العرب . لهذا السبب ، لم تعد للعصبية القبلية أهمية في عهد بنى العباس في تلك المناطق البعيدة عن جزيرة العرب ، وبمرور الزمن بدأ الطابع القبلي يفقد هويته شيئاً فشيئاً ، وانقطعت بذلك أنساب هذه القبائل وأخبارها ، بما فيهم بنو هناءة الخراسانيون .

أما الذين استوطنوا البصرة فظلوا على علاقاتهم بأبناء عمومتهم في عمان فترة طويلة من الزمن ، الا أن الطابع الاقليمي والمحلي غلب عليهم فيما بعد ، مثلهم في ذلك مثل بقية قبائل العرب التى استوطنت مدن العراق .

وبنو هناءة الذين بقوا في عمان استطاعوا أن يحافظوا على تكوينهم القبلي وعلى مكانتهم السياسية في المنطقة . وساعدهم على ذلك كثرة أتباعهم وأحلافهم . فبعد سقوط الدولة الأموية شارك بنو هناءة مشاركة فعالة في تسيير زمام الأمور في عمان وكانوا دائماً الكفة التي ترجح فريقاً على آخر في الصراع حول السلطة أو الامامة . ومنذ السنوات الأولى لقيام الامامة الاباضية في عمان في القرن الثاني الهجري ، حاول بنو هناءة وأتباعهم السيطرة عليها ، وذلك عندما ثار غسان بن سعد المحاربي الهنائي في نزوى واستطاع أن ينتزع بعض المناطق الداخلية ويستقل بها ، إلا ان محاولته فشلت فيما بعد [٣٠] . ورغم ذلك لم تضعف قوة بنى هناءة بل حاولوا أكثر من مرة التدخل في شئون الامامة ، واعلان الثورة على الحاكم اذا لم يحقق لهم مطالبهم .

وهناك أمثلة عديدة في التاريخ العماني تبين مدى اتساع النفوذ الهناوي طوال العصور الاسلامية في عمان . فقد ثاروا على غسان بن عبدالله اليحمدي في أواخر القرن الثاني الهجري [٣١] ، كما استطاعوا القضاء على القضل بن الحواري (من بنى سامة بن لؤى من قريش) [٣٢] الذى انتزع الامامة من عزان بن تميم الخروصي في سنة ٢٧٨هـ ، وإرجاع الأمور الى نصابها وتمكين عزان من السلطة في البلاد [٣٣] .

ويرجح أن تكون علاقتهم قوية مع

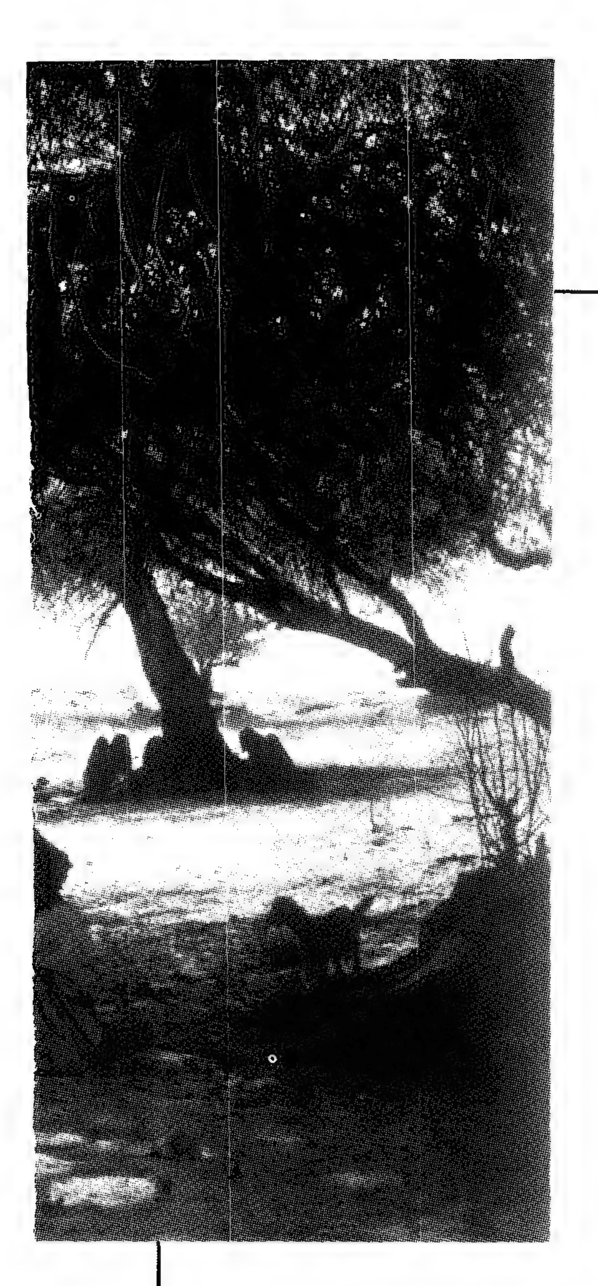
حكــام بنى نبهــان حتى قــدوم البرتغاليين إلى المنطقة . ففي عهد سليمان بن مظفر النبهاني كان بنو هناءة أقرب الناس إليه ، وكانوا ـ كما تذكر مصادرنا المحلية ـ أكثرهم عدداً وبأساً وعدة (٣٤) . ويشير السيابى أن «بنى هناءة ورؤساءهم كانوا مسموعى الكلام ، واليهم الأمر في أيام سليمان بن مظفر النبهاني» (٣٥) . وكان زعيمهم في تلك الفترة سيف بن محمد بن أبي سعيد الذى اتخذ من دارست مركزاً لبسط النفوذ الهناوى على المناطق التي ينتشرون فيها . إلا ان علاقتهم ساءت مع النبهانيين المتأخرين بسبب التعصب القبلي كما سبق أن ذكرنا .

فبنو معن أحلاف النبهانية اعتدوا على بنى النير أحلاف الهنائية . فأراد بنو هناءة الانتقام من بنى النير ، إلا أن ذلك أوقعهم في صدام مع سليمان بن مظفر النبهاني . وبسبب اصرار الأخير على تأديب بنى هناءة ، قام الهناوية بغزو بهلا مـركز الحكم النبهـاني مستغلـين عـدم وجـود السلطـان سليمان فيهـا وألحقوا بالنبهانية وأتباعهم خسائر كبيرة . أجبر ذلك السلطان على طلب الصلح معهم مقــابـل اعطـائهـم بعض الامتيازات وتلبية مطالبهم ، إلا أنهم رفضوا عرضه وتحالفوا مع أبناء عمه المناوئين له من أجل الاطاحة به .

وقد انضم بنو هناءة بقيادة سيف بن محمد مع الأمير عمير بن حمير النبهانى ملك سمائل ضد سليمان ، ودخلت عمان فى صراع طويل أدى إلى تقسيم المنطقة والقضاء على وحدتها السياسية . وزاد الأوضاع سوءاً وصول البرتغاليين الذين استغلوا هذا الانقسام لتسيير مصالحهم الخاصة ، وللسيطرة على السواحل العمانية بسهولة . ولم يستطع سليمان بن مظفر النبهاني ولا خلفاؤه من بعده القضاء على قوة بني هناءة ومن ناصرهم ، واستمر الوضع على ذلك إلى أن ظهر ناصر بن مرشد اليعربي في العقد الثالث من القرن السابع عشر الميلادى (٣٦) . وتمكن هذا الإمام من إقامة دولة قوية في عمان وقضى على جميــع منــاوئيــه بمــا فيهم بنــو هناءة (٣٧) . قيل إنه حُجر عـلى نشاطاتهم السياسية والعسكرية ومنع عنهم السلاح (٣٨) .

بنو عمير :

ينسب السيابى آل عمير إلى عامر بن صعصعة من قيس عيلان وهم بذلك ينتمون إلى العرب المستعربة أو العدنانية (٣٩) . وتفسيرنا الوحيد لقوة آل عمير في عمان في تلك الفترة كونهم يشتركون مع بني جبر في نفس النسب . فـالقبيلتـان كمـا تؤكـد الروايات التاريخية تنتميان إلى عامر بن صعصعــة ، وقــدنمت قــوتهم وأصبحوا أصحاب نفوذ في شرق جزيرة العرب زمن الحكم القرمطى . وقبل هذه المرحلة من التاريخ العربي الاسلامي كان بنو عامر أو بنو عقيل كما يعرفون عند البعض نسبةً إلى

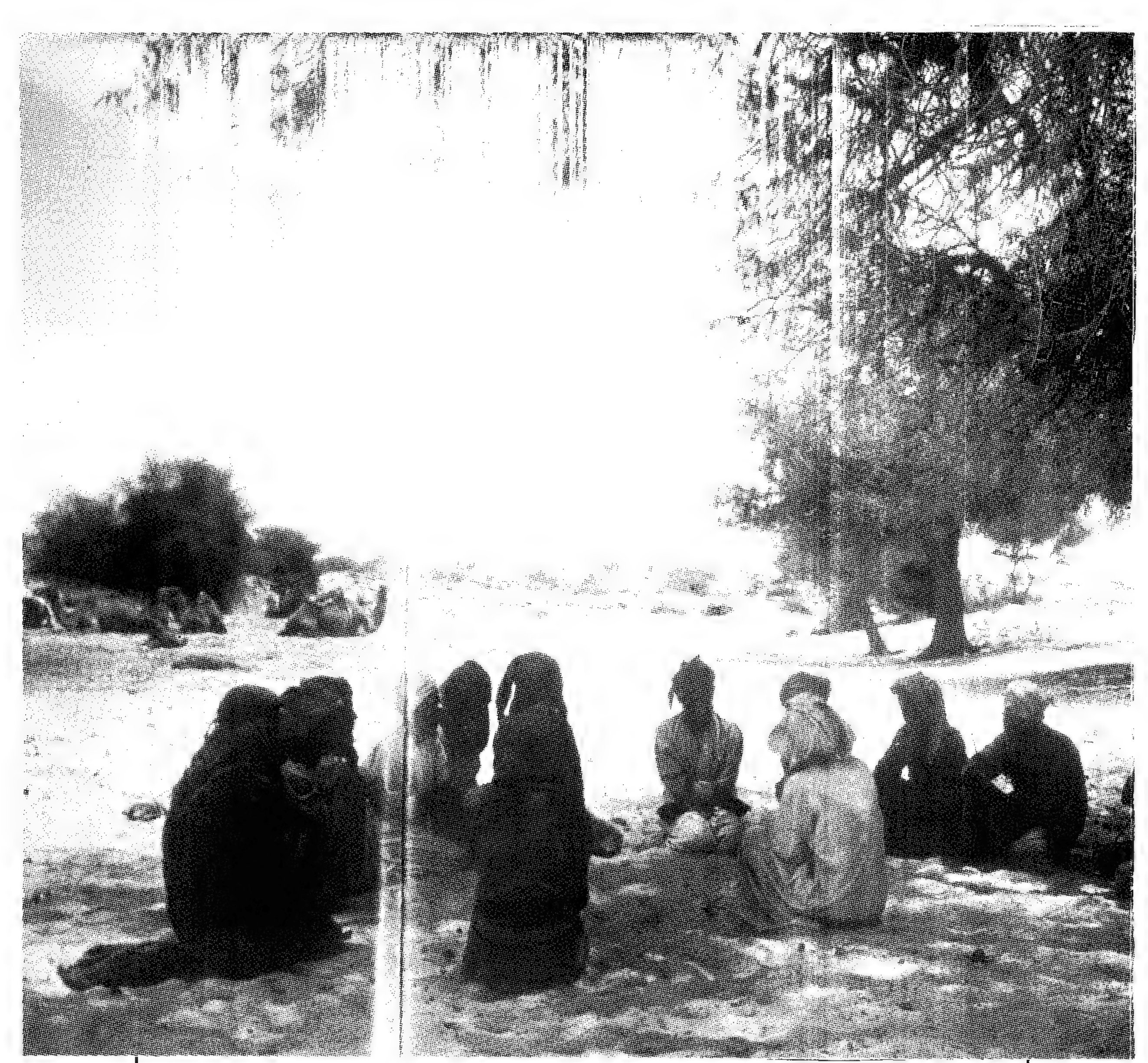


عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن صعصعة ، يستوطنون سهول نجد وواحاتها .

ومع نمو الحركة القرمطية واستفحال أمرها في اواخر القرن التاسع الميلادي ، الثالث الهجري تشير الروايات التاريخية الى أن بنى عامر هؤلاء تحالفوا مع القرامطة وساعدوهم في تكوين دولتهم في شرق الجزيرة العربية . ولا يستبعد هذا الفعل لأن القرامطة كما هو معروف اعتمدوا اعتماداً على عرب البحرين واليمامة في نشرنفوذهم السياسي والعقائدي ، وفي تقوية مركزهم في المناطق التي سيطروا عليها . وكان من هذه المناطق إقليم عمان المجاور للبحرين والذي لم يسلم من هجمات القرامطة وأنصارهم ، والذي وقع فترة طويلة من الزمن تحت السلطة القرمطية . وقد رافق التوسع القرمطي في عمان هجرات من أواسط نجد والبحرين الى المنطقة . وكانت بطون بنى عقيل أو بنى عامر ضمن هذه الهجرات ، فقد استوطنوا عمان بأعداد كبيرة .

وفي مرحلة ضعف الدولة القرمطية في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري ، أخذ بنو عامر في التدخل في شئون الأقاليم الواقعة تحت حكام القرامطة والتصرف في أمورها الادارية والسياسية والاقتصادية . وكانت مساكنهم تمتد من جنوب العراق الى شمال عمان أنذاك (٤٠) .

وعندما نجح العيونيون بقيادة عبدالله بن علي العيوني في القضاء على الحكم القرمطي في شرق الجزيرة العربية بمعاونة السلاجقة . اصطدموا مع بني عامر الذين كانوا السند القوي للجيوش القرمطية . فقد كان بنو عامر يتسلمون مبالغ مالية بالاضافة الى جزء من حاصلات البحرين من القرامطة مقابل المساندة والدعم العسكري لهم . وعندما تولى



● رجال البدو مع ابلهم يستريحون من عناء رحلة طويلة.

العيونيون زمام الامور ، أراد بنو عامر أن يكون لهم موضع قدم في السلطة وأن يشاركوا في حكم البلاد . إلا أن مطالبهم هذه رفضت من قبل حكام العيونيين . الأمر الذى جعلهم يشهرون السيف ويعلنون التمرد والعصيان على الحكم العيوني . وبسبب تدخل سلاجقة العراق في هذا الخلاف ودعمهم ومساندتهم للعيونيين لم يستطع بنو عامر تحقيق مآربهم الخاصة ، الا أن نفوذهم ظل قوياً بسبب كثرة بطونهم في المنطقة . وقد ساعدهم هذا فيما بعد على فرض نفوذهم من جديد بسبب الضعف الذي دب في الحكم العيوني في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي حين تمكن بنو عامر من السيطرة على اقتصاد الدولة العيونية في أواخر عهدها ، وهذه السيطرة تبعتها فيها بعد سيطرة سياسية على المنطقة . حيث

اتفق معظم أعيان الأحساء ووجوهها على تسليم السلطة في البلاد إلى زعيم بنى عامر عصفور بن راشد بن عميرة في الربع الأول من القرن الثالث عشر الميلادي ليؤسس بذلك إمارة العصفورين [٤١] . وقد شملت هذه الإمارة بلاد البحرين (الاحساء حالياً) وبعض أجزاء من نجد وعمان ، وتعددت بطون بنى عامر وأفخاذها وانتشروا في هذه المناطق . وامتد الزمن بالعصفوريين الى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي وكان زوالهم بسبب الاضطرابات السياسية التي عمت منطقة الخليج في تلك المرحلة من التاريخ ، وذلك بظهور تيمور لنك . ولكن بنى عامر سرعان ما استرجعوا سلطتهم مرة أخرى على يد فرع آخر وهم الجبور أو بنو جبر في حدود منتصف القرن الخامس عشر الميلادي [٤٢] .

وخلال فترة حكمهم للمنطقة والتي امتدت أكثر من قرن ونصف من الزمن ، امتد نفوذ بنى جبر الى مناطق أخرى مجاورة لإقليم البحرين منها إقليم عمان . وقد صاحب هذا المد السياسي ، هجرات واستيطان كثير من قبائل بنى عامر الى عمان الداخل وتكوين كيانات مستقلة بسبب الضعف النبهاني عندئذ . وقد عرفت هذه الكيانات فيما بعد بسلطة الجبور في عمان وهم الذين شاركوا في حكم البلاد كما أشرنا سابقاً . وساعد على استقلالهم سقوط دولتهم في الأحساء في الربع الأول من القرن السادس عشر الميلادي والتي ضمت الى ممتلكات الدولة العثمانية [٤٣] .

يتضح من هذا العرض الموجز لتاريخ بني عامر أن عمان كانت على صلة دائمة بما يحدث في اقليم الاحساء وان هذه القبائل هاجرت بأعداد كبيرة الى المنطقة منذ عصور القرامطة ، وأن نفوذهم قوى إبان الحكم الجبري . وبسقوط بنى جبر في الاحساء استقلت قبائلهم في عمان ، وانفردت بحكم كثير من المدن والقرى بسبب ضعف الحكم النبهاني . وكان بنو عمير أحد أفخاذ قبيلة بني عامر مثل الجبور ، ولعل استيطانهم لعمان يعود الى فترة ماقبل الجبريين واستغل آل عمير الوضع المتردى في عمان في القرن السادس عشر الميلادي كبنى عمومتهم واستقلوا بحكم بعض المدن والقرى . ويرد ذكرهم كقوة سياسية في المنطقة في عهد سلطان بن محسن بن سليمان النبهاني ، عندما اشتروا حصن بهلا من بنى جبر في سنة ٩٦٧هـ [٤٤] . إلا أنهم لم يتمكنوا من المحافظة على هذا الحصن حيث سقط في يد الإمام عبدالله بن محمد القرن من بنى هناءة ، والذي بويع بالامامة من أجل القضاء على الحكم النبهاني في السنة نفسها[٤٥] .

وفي الوقت الذي استمر فيه الصراع على السلطة بين الملوك النبهانية المتأخرين ومناوئيهم وخاصة بنى هناءة ، نجد أن آل عمير وبالتعاون مع بنى عمهم ، بنى جبر ، يحاولون إستغلال هذا الموقف لدعم

نفوذهم السياسي في المنطقة ، حيث كانوا يتدخلون في هذا الصراع بصورة مباشرة لإضعاف نفود القبائل العمانية ، وفي الوقت نفسه كانوا يحاولون تثبيت دعائم حكمهم في المناطق التى تنتشر فيها أفخاد بني عامر وبطونها .

ومع مطلع القرن السابع عشر الميلادي ، كان بنو عمير مسيطرين على منطقة سمائل والقرى المحيطة بها تحت زعامة مانع بن سنان ، بينما بسط بنو عمهم الجبريون نفوذهم على مناطق أخرى كما سبق لنا أن أشرنا(٤٦) . ولم يصطدم بنو عمير مثل الجبريين مع ناصر بن .مرشد في بداية عهده بل إنهم فضلوا المسالمة هم وحلفاؤهم من بنى رواحة ، ولعل السبب في ذلك أنهم وجدوا أنفسهم لا قبل لهم بجيوش ناصر بن مرشد وأنصاره (٤٧) . الا أن السلام بين الطرفين لم يستمر طويلا ، فقد أعلن مانع بن سنان العصيان على ناصر بن مرشد بعد أن تلقى العون والدعم من قبائل بني هناءة ومن أبناء عمه بنى جبر . ولكن هذه الثورة لم يكتب لها النجاح ، لقوة عزيمة أهل عمان وإمامهم ، وتفانيهم في حماية الإمامة الجديدة وتوحيد البلاد . فتراجع مانع بن سنان وأتباعه الى شمال عمان وحاول إعادة الكرة مرة أخرى ، إلا أنه لم يوفق فقد نصب له فخ من قبل والي صحار اليعربي الذي بيت له أمراً واستطاع أن يقضي عليه قبل أن يعد الهجوم ، وبموته تم القضاء على سلطة آل عمير في عمان (٤٨) .

اليعاربة :

ينسب ابن قيصر اليعاربة الى نصر بن زهران أحد بطون الأزد والتى ينتسب اليها أهم قبائل عمان وهو بنو مالك بن فهم . ولم يذكر المؤلف ان كان اليعاربة هم فخذ من فخوذ نصر بن زهران أن أنهم فرع من مالك بن فهم والذين هم من نصر بن زهران(٤٩) .

أما بقية مصادرنا المحلية فإنها تتجاهل شجرة نسب اليعاربة ، ما عدا السيابي الذي ينسبهم الى نفس القبيلة التى ينتسب اليها بنو نبهان ، فهم كما يرى من يعرب بن عمير بن نبهان بن محمد بن نبهان بن كهلان من العتيك من عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرؤ القيس بن ثعلبة بن غسان بن الأزد(٥٠) . هكذا يخرج السيابي اليعاربة من سبب نصر بن زهران ، ويناقض بذلك مؤرخ سيرة ناصر بن مرشد ابن قيصر .واذا رجعنا قليلاً الى الوراء ، نجد أن سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني أحد السلاطين النباهنة المتأخرين ، والذي وصلنا كثير من أشعاره ، نجده يورد كلمة يعرب في ديوانه كثيراً(٥١) . فهو يفتخر بأن آباءه وأجداده ينتمون في نسبهم الى يعرب هذا . وتكاد تتفق جميع الأسماء التى يرددها في شعره مع

ما ذكره السيابي . فشاعرنا النبهاني ينسب نفسه وقبيلته الى يعرب من نبهان بن كهلان من العتيك من عمرو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء(٥٢) .

ولعل هذا النسب هو الراجح وليس ما ادعاه ابن قيصر . كذلك فان الاسم القبلي (يعرب) ليس مقصورا على الفرع اليعربي أى فرع ناصر بن مرشد مؤسس دولة اليعاربة بل هو أعم وأشمل . فكما هو واضح من أشعار سليمان النبهاني فإن (يعرب) كان الأسم القبلي الشائع أيام حكم النبهانيين ويطلق على جميع بنى نبهان . وبعد سقوط دولتهم أصبح هذا الأسم يطلق على فرع واحد من فروع النبهانيين ، والذي منه ناصر بن مرشد وخلفاؤه ممن حكموا الدولة اليعربية .

نستنتج من ذلك أن اليعاربة ، أى ناصر بن مرشد وخلفاؤه ، ليسوا الا فخذاًمن فخوذ بني يعرب بن عمرو بن نبهان . ويعرب هذا هو الجد المشترك لجميع النبهانيين أو اليعربيين بما فيهم ناصر وخلفاؤه(٥٣) .

وتاريخ بني نبهان أو بنى يعرب يعود في جذوره الى قبيلة العتيك التى استوطنت عمان قبل ظهور الاسلام بفترة طويلة ، ومن المعلوم أن القبيلة وقفت ضد المد الإسلامي في المنطقة وانضمت الى صفوف المرتدين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان لموقفهم هذا أثر سلبي على نفوذهم السياسي في عمان . فلم يستطع العتيك ولفترة طويلة من الزمن تعويض ما فقدوه من مكانة عالية ومرموقة بين صفوف القبائل العمانية .

فبعد سقوط الدولة الاموية سنة ١٣٢هـ قامت الإمامة في عمان واستقلت عن السلطة في بغداد ، وكان معظم الأئمة الذين تعاقبوا على الإمامة من قبائل اليحمد . ومن المعروف أن هذه القبائل وحلفاؤهم هم من أوائل من دخلوا الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ودافعوا عنه بكل قوة ضد المرتدين من العتيك . كما أنهم أبلوا بلاءً حسناً في الفتوحات الاسلامية ونشر الاسلام في المناطق الشرقية للخلافة . لذا ليس غريباً ان نرى قبائل اليحمد وأتباعهم هي التى تستأثر بالإمامة دون غيرها وتستمر في الحكم مدة طويلة من الزمن امتدت من منتصف القرن الثاني الهجري الى منتصف القرن السادس الهجري .

وبعد هذا التاريخ ، نرى أن الأوضاع الداخلية لعمان تسوء بسبب الحروب الأهلية ، ولم تستطع قبائل اليحمد السيطرة على الأمور ، مما نتج عنه ظهور قوة جديدة في المنطقة تعود أصولها الى العتيك وهم بنو نبهان . فقد تمكنوا من فرض نفوذهم السياسي على قبائل عمان ، ومن حكم المنطقة ، حتى مطلع القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي .

ويتضح لنا من ذلك أن قبائل العتيك والتى ينتمى إليها بنو نبهان . وان كانوا أبعدوا عن السلطة فترة طويلة من الزمن بسبب مواقفهم الأولى ضد الاسلام ، إستطاعوا أن يفرضوا وجودهم من جديد إبان الحرب الأهلية في القرن السادس الهجري وتمكنوا من انتزاع السلطة من قبائل اليحمد وحكموا عمان حتى مطلع القرن السابع عشر الميلادي(٥٤) .

ولقد كان اليعاربة الذين أسسوا الدولة اليعربية في الربع الثاني من هذا القرن متمركزين في منطقة الرستاق ، تحت زعامة مالك بن أبي العرب اليعربي إبان حكم النبهانيين المتأخرين . وظهروا على مسرح الاحداث كقوة سياسية ذات نفوذ قوي في عهد سليمان بن مظفر النبهاني ، عندما تحالفوا مع عمير بن حمير النبهاني ضد سليمان هذا في أواخر القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي(٥٥) . حيث انقسم البيت النبهاني على نفسه في هذه المرحلة من تاريخ عمان كما اشرنا سابقاً ، وخاض النبهانيون حروباً ضد بعضهم البعض .

وشاءت الأقدار أن يظهر من هذه الأسرة شخص استطاع أن يكسب رضى الكثير من العمانيين لورعة وتقواه ،. واتباعه سيرة الأئمة الأوائل ، فتجمعت حوله القبائل وناصرته وأيدته . ذلكم هو ناصر بن مرشد اليعربي الذي بويع بالإمامة سنة ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م بعد أن خلف مالك بن ابي العرب في حكم الرستاق . وبدأ ناصر في تعزيز موقفه عن طريق كسب ولاء القبائل المحيطة بالرستاق ، وكذلك كسب ولاء القبائل المناوئة للحكم النبهاني خاصة قبائل اليحمد القوية .

وكان ناصر سياسياً وجد أن خلاص عمان من الوضع السىء التى هي فيه ـ يتمثل في جمع شتات القبائل تحت راية واحدة عن طريق نشر الدعوة الإصلاحية التى تستمد روحها من المذهب الاباضي ، وتذكير الناس بسيرة السلف الصالح الإقتداء بهم . ووجدت هذه الأفكار والمبادىء الإصلاحية آذانا صاغية تتطلع شوقاً للامام الذي سيخرجهم من هذا الوضع المتردى الذي هم فيه . وهكذا أخذ ناصر في ضم المدن والقرى الواحدة تلو الأخرى تحت رايته ، وفي القضاء على التكتلات القبلية المستقلة ، وقد كللت مساعيه بنجاح باهر وشهدت بعدها عمان عصراً جديداً ملؤه العزة والرخاء .

والخلاصة أن هناك عاملين رئيسيين كانا وراء نجاح ناصر بن مرشد مؤسس دولة اليعاربة دون غيره من الحكام النبهانيين . أولهما دعوته للاصلاح المعتمدة على إحياء الإمامة الاباضية والاقتداء بسيرة الأئمة والعلماء الأوائل ، وهذا ما كان يتطلع اليه معظم قبائل عمان ،

وثانيهما دعم القبائل القوية له ، وخاصة اليحمد الكثيرة العدد ، والتى فقدت سلطتها السياسية في عمان منذ زمن بعيد ، وقد رأت في شخصية ناصر بن مرشد ضالتها . وهكذا استطاع ناصر بن مرشد بفضل حنكته وسياسته ، الى جانب تمسكه بالدين وحرصه عليه ، أن يبنى قواعد صلبة ومتينة للدولة الناشئة ، وأن يمهد لخلفائه الطريق نحو بناء امبراطورية عمانية عرفت في كتب التاريخ باسم دولة عمان الكبرى .

وختاماً . فقد نضيف الى ما ذكرناه من آثار أفرزتها الأحداث المتلاحقة ان عمان مرت بمرحلة من أصعب مراحلها التاريخية ، في الفترة ما بين سنة ١٥٠٧م وهي سنة وصول البرتغاليين ، وحتى سنة ١٦٢٤م سنة إحياء الإمامة الاباضية على يد ناصر بن مرشد . وقد شهدت تلك المنطقة حروباً دامية ، دارت رحاها بين القبائل العمانية ، وكان للعصبية القبيلة دور أساسي فيها ، وقد سهلت هذه الحروب للمستعمرين مهمة السيطرة على سواحل عمان ، واستعمارها وتسخير خيراتها ومواردها لخدمة البلاط البرتغالي . وهذه الحالة من الفوضى والتى مرت بها عمان إبان الغزو البرتغالي ، يمكن اعتبارها مرحلة انتقال من فترة العصور الوسطى حيث هيمن عليها النبهانيون الى فترة يمكن اعتبارها فترة العصور الحديثة وهي التى تولى مسئولية حكم عمان فيها اليعاربة ، ومن بعدهم آل بوسعيد . ونأمل أن يكون في هذا العرض الموجز ما ينبه الى أهمية المنطقة وتاريخها على حد سواء .

الدكتور حسن النابوده
قسم التاريخ ـ كلية الآداب
جامعة الامارات العربية المتحدة

الهــــوامش

١ ـ لمزيد من التفاصيل حول كتاب كشف الغمة ومؤلفه انظر ، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، تحقيق ودراسة وتعليق أحمد عبيدلي (نيقوسيا دار دلمون للنشر ١٩٨٥) .

٢ ـ د. فاروق عمر ، مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني ، (بغداد : ١٩٧٩) ص ١٥٤ .

٣ ـ د. جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، د.ت) ، ص ٥٢ ـ ٥٣ .

٤ ـ المصدر السابق ، ص ٥٣ ـ ٥٤ .

٥ ـ محمد بن عبدالله الطنجي الشهير بابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ) تحفة النظار في غرائب الأمصار ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧) ، ص ٢٨٦ .

٦ ـ انظر مصطفى عقيل الخطيب ، التنافس الدولي في الخليج العربي ١٦٢٢ ـ ١٧٦٣ ، (بيروت : المكتبة العصرية ، ١٩٨١) ، ص ١٩ .

٧ ـ Robert Geran Landen, Oman Since 1856, (Princeton: 1967) p.19-20.)

٨ ـ ينسبهم ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن حجر ، ت ٨٥٢هـ) ، الى بطن من بطون قريش الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، (القاهرة : دار الكتاب الحديثة ، ١٩٦٦) ، جـ١ ص ٧٥ . انظر تعليق عبداللطيف ناصر الحميدان على ذلك في مقال «العصفوريون وقصة ١٥٠ عاما غامضة في تاريخ البحرين ، «الوثيقة» (تصدر عن مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين) . العدد الثالث (١٩٨٣) ، ص ٤٤ ـ ٥٢ .

٩ ـ عبداللطيف ناصر الحميدان ، «التاريخ السياسي لإمارة الجبور» ، مجلة كلية الآداب في جامعة البصرة ، العدد ١٦ (١٩٨٠) ، ص ٤٤ ـ ٥٢ .

١٠ـ المصدر السابق ، ص ٧٠ .
انظر كذلك مقال الدكتور علي أبا حسين ، «الجبور عرب البحرين» ، الوثيقة ، العدد الثالث ، (١٩٨٣) ص ٧٨ ـ ١٠٠ .

١١ـ الخليج العربي ، ترجمة : عبدالقادر يوسف ، (الكويت :د.ت.) ، ص ١٤٩ .
Beatrice de Cardi, "Trucial Oman in the 16th and 17th Centuries" in Antiguity, vol 44, (1970) , p. 288.

١٢ـ انظر كشف الغمة ، ص ١٣٩ .
انظر كذلك : J.C. Wilkinson, "A sketch of the Historical Geography of the Trucial Oman: Down to the Begining of the Sixteenth Century". in the Geographical Journal, vol. 130(1964),p.339.

١٣ـ J.C. Wilkinson, (Bio-bibliographical background to the Crisis period in the Ibadi Imamate of Oman" In Arabian Studies, vol.3, p.161.

١٤ـ في حوالي سنة ١٧٢١م ذكر صاحب كشف الغمة أنه أثناء الحرب الأهلية في عهد يعرب بن بلعرب اليعربي ، حرقت كتب كثيرة لم يكن لها نظير بعمان .. في الرستاق بعد سقوطها . ص ٣١٧ ـ ٣٧٥ .

١٥ـ Beatrice de Cardi, "Trucial Oman in the 16th and 17th Centuries", in Antiquity, vol 44 (1970), p.288.

١٦ـ يعتبر ديوان أبي بكر بن سعيد الستالي ١١٨٩ ـ ١٢٧٨م من أهم المصادر المحلية التى تطرقت لفترة الملوك النبهانيين في عمان ، ولكن لا يعد تاريخاً ، فهو مجموعة من الأشعار والأراجيز التى امتدح فيها الستالي ملوك بني نبهان . وقد عدد أسماء كثيرة لهؤلاء الملوك دون أن يعطى معلومات واضحة عن فترات حكمهم وعن أهم الأحداث التى صارت في عصورهم .
انظر: J.C Wilkinson , The Imamate Tradition of Oman, (Cambridge University Press, 1987), p. 213.

١٧ـ حميد بن محمد بن رزيق (ت : ١٢٧٤هـ) ، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ، (مسقط : وزارة التراث القومي ، ١٩٧٧) ، ص ٢٥٧ .

١٨ـ نور الدين عبدالله بن حميد السالمي (ت : ١٣٣٢هـ) ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، (مسقط وزارة التراث القومي ، ١٩٨١) ، جـ١ ص ٣٧١ ـ ٣٧٦ .

١٩ـ السالمي ، تحفة الاعيان ، جـ١ ص ٣٧٩ : كشف الغمة ، ص ٣٢١ .

٢٠ـ السالمي ، تحفة الاعيان ، جـ١ ص ٣٧٩ كشف الغمة ، ص ٣٨٧ .

٢١ـ كشف الغمة ، ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ .

٢٢ـ كشف الغمة ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

٢٣ـ Wilkinson, The Imamate, P.217

٢٤ـ السالمي ، تحفة الأعيان ، جـ١ ، ص ٣٩٨ .

٢٥ـ انظر كشف الغمة ، ص ٣٤٤ ، السالمي تحفة الأعيان ص ٤٠٠ .

٢٦ـ لمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع انظر مقال د. عبداللطيف ناصر ، «التاريخ السياسي لامارة الجبور» ، مجلة كلية الآداب في جامعة البصرة ، العدد ١٦ (١٩٨٠) ، ص ٥٤ ـ ٥٦ ؛ نوال حمزة يوسف الصيرفي ، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي (الرياض ؛ دارة الملك عبدالعزيز ، ١٩٨٣) ، ص ٥٣ .

٢٧ـ Wilkinson, The Imamate, P. 215

٢٨ـ د. عبداللطيف ناصر ، التاريخ السياسي لإمارة الجبور ، ص ٥٨ .

٢٩ـ جميع الدلائل تشير الى أن الجبور كانوا مهيمنين على مناطق واسعة في شمال عمان ، والتي اتخذوا منها قاعدة لتوسعهم السياسي في المنطقة . انظر مقال عبداللطيف الناصر ، «التاريخ السياسي لإمارة الجبور» ص ٥٧ .
٣٠ـ سلمة بن مسلم العوتبي (من أعيان القرن الخامس الهجري) الأنساب ، (مسقط : وزارة التراث القومي ، ١٩٨٤) ، جـ٢ ص ٢٢٥ ؛كشف الغمة ، ص ٢٥١ .
٣١ـ كشف الغمة ، ص ٧ ـ ٢٥٨ .
٣٢ـ بنو سامة هؤلاء يذكر بأنهم هاجروا الى عمان قبل الاسلام بمدة طويلة وينسبون الى قبيلة قريش . وفي نسبهم وهجرتهم اختلاف كبير عند علماء النسب الأوائل . هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤) ، جمهرة النسب ، (بيروت عالم الكتب ، ١٩٨٦) ، ص ١١٣ .
٣٣ـ كشف الغمة ، ص ٧ ـ ٢٦٨ .
٣٤ـ كشف الغمة ، ص ٣٣٣ .
٣٥ـ سالم بن حمود السيابي ، إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان ، (بيروت : مطابع المكتب الإسلامي ١٣٨٤هـ) ص ٩٨ .
٣٦ـ كشف الغمة ص ٣ ـ ٣٣٤ .
٣٧ـ ابن قيصر ، سيرة الإمام ناصر بن مرشد ، (مسقط : وزارة التراث القومي ، ١٩٨٣) ، ص ٨ ـ ١١٣ .
٣٨ـ كشف الغمة ، ص ٣٧٤ .
٣٩ـ إسعاف الأعيان ، ص ٥٨ .
٤٠ـ لمزيد من التفاصيل انظر مقال د. عبداللطيف ناصر حميدان ، «العصفوريون وقصة ١٥٠ عاما غامضة في تاريخ البحرين ، الوثيقة ، (تصدر عن مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين) ، جـ٣ ١٩٨٣) ، ص ٣٠ ـ ٣٣ .
٤١ـ المصدر السابق ، ص ٣٤ ـ ٣٩ .
٤٢ـ المصدر السابق ، ص ٦٦ .
٤٣ـ د. علي أبا حسين ، «الجبور عرب البحرين» ، الوثيقة جـ٣ (١٩٨٣)، ص ٩٨.
٤٤ـ كشف الغمة ، ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ .
٤٥ـ المصدر السابق ، ص ٣٢٢ .
٤٦ـ اسعاف الأعيان ، ص ٥٩ : كشف الغمة ، ص ٣٤٤ .
٤٧ـ ابن قيصر ، سيرة الامام ناصر ، ص ١٨ . كشف الغمة ص٣٥ .
٤٨ـ ابن قيصر سيرة الامام ناصر ص ٨ ـ ٥٩ : كشف الغمة ، ص ٣٥٤ ـ ٣٥٧.
٤٩ـ سيرة الامام ناصر بن مرشد ، ص ١٢ .
٥٠ـ اسعاف الاعيان ، ص ١١٩ .
٥١ـ انظر ديوان النبهاني (سليمان النبهاني ت ٩١٥هـ/ ١٥١٠م) (مسقط : وزارة التراث القومي ١٩٨٤) . الصفحات : ١ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٣، ٩٨ ، ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٣٠ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٧ ، ١٧٧ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٤١ ، ٢٥٤ .
٥٢ـ النبهاني ديوان ، الصفحات ١٨ ، ٢٣٢ ، ٢٢٨ ، ١١٩ ، ١٣٢ ، ٢١٥ ، ٢٤١ .
٥٣ـ يرى السيابي أن اليعاربة انفصلوا عن بنى نبهان في أواخر عهدهم مثلما

انفصلت بطون أخرى . وأصبح كل بطن يدير شئونه السياسية والاجتماعية بصورة مستقلة . كما يذكر المؤلف من خلال تطرقه لهذا المضوع ، بأنه فقد كنزاً علميا يضم جداول وشجرات أنساب مشاهير آل نبهان أو آل يعرب حتى سقوط دولتهم ولو عثر على هذه الجداول فإنه مما لا شك فيه سيتم الكشف عن كثير من الحقائق والمعلومات التاريخية الخاصة بتلك الفترة المظلمة من تاريخ عمان . انظر اسعاف الأعيان ، ص ١١٨ .

٥٤ـ سالم بن حمود السيابي ، عمان عبر التاريخ (مسقط : وزارة التراث القومي ، ١٩٨٢) ، جـ٣ ص ٨٣ ـ ١٠٠ .

٥٥ـ كشف الغمة ، ص ٣٣٥ .